382469 - دفع الإشكال عن قوله تعالى: (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين).

السؤال

ذكرت الآية ٥٨ من سورة الصافّات أنّ المؤمنين يموتون مرة واحدة فقط، وأيضا الآية ٥٦ من سورة الدخان، لكن في سورة غافر الآية ١١ تكلّم الله عن موتتين وحياتين، كيف نوفّق بين هذه الآيات؟ لقد رأيت في بعض تفسيراتك لسورة غافر الآية ١١ أنّ هناك موتتين لكل من المؤمنين والكفّار؛ لأنّ الموتة الأولى قد وقعت بالفعل كما في السؤال: (248517)، إذا كان الأمر كذلك، ألا يتعارض هذا مع تلك الآيات في سورة الصافّات والدخان؟

الإجابة المفصلة

أولًا:

الإماتتان في قوله تعالى عن الكفار: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ غافر/11، ما ذكره الشنقيطي في قوله: "والإماتة الأولى هي كونهم نطفًا وعلقًا ومضغًا، والإماتة الثانية هي موتهم عند انقضاء آجالهم في الدنيا، والإحياءة الأولى نفخ الروح فيهم وإخراجهم أحياء من بطون أمهاتهم، والإحياءة الثانية بعثهم من قبورهم أحياء يوم القيامة"، انتهى من "أضواء البيان"(2/ 273)، وينظر: "العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير" (4/ 219-220).

وانظر ما سبق في الجواب رقم: (248517)،

ثانيًا:

ما ذكره الله تعالى عن أهل الجنة، وهو قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ الدخان/56؛ فالموتة الأولى يقصد بها: الموتة التي ذاقوها في الدنيا.

وأما الاستثناء المذكور فيها (إلا الموتة ..) ؛ فقد اختلف العلماء في معناه على أقوال منها:

1- أن (إلا) بمعنى، (سوى)، والمعنى: لا يذوقون فيها الموت سوى الموتة التي ذاقوها: قال الفراء: " فإلا فِي هَذَا الموضع بمنزلة سوى" انتهى.

انظر: "معاني القرآن للفراء" (3/44)، "تأويل مشكل القرآن" (53).

2- أن (إلا) بمعنى (بعد)، والمعنى: لا يذوقون فيها الموت بعد الموتة الأولى، قال الطبري: " وقوله: (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى)الدخان/56 يقول تعالى ذكره: لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت، بعد الموتة الأولى

التي ذاقوها في الدنيا" .

ينظر: "تفسير الطبري" (21/ 67-68).

ثالثا:

وأما التعارض المتوهم بين إثبات (الموتة الأولى) في آية، وإثبات (موتتين) في آية أخرى، فأظهر ما يقال فيه؛ أن الآية التي ذكر فيها أن أهل الجنة لا يذوقون إلا الموتة الأولى، يعني: خروج أرواحهم بعد حياتهم، وانتقالهم إلى البرزخ؛ فهذه هي الموتة التي (ذاقوها)؛ فوجدوا فيها ألم الموت، وشدة النزع، وكيف تكون مفارقة الحياة.

وأما الموتة التي قبل ذلك، وهي: عدمهم الذي كانوا عليه قبل أن يخلقوا، فهذه لم يذوقوها، ولم يشعروا بها، ولو بقوا عليها، لكانوا عدما، لا يجدون طعم الموت، كما أنهم لم يشعروا بحياة.

أحدها: أن يقال: **«لا يذوقون فيها الموت ولا يرونه إلا الموتة الأولى التي رأوها في الدنيا، تلك يعرفونها ويذكرونها، فأما سواها فلا»**، فإنه تعرض لذكر الموتة التي شعروا بها، أما الموت الأول قبل أن يوجدوا، فلم يذكره إذ هم لم يشعروا به.

انظر: "تفسير الماتريدي" (9/214).

وعلى ذلك؛ فلا تعرض في هذه الآية، ولا في قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿**أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾ الصافات/58-59؛ لذكر الموتة التي كانت قبل الحياة، وهي (الموتة الأولى)، في الآية التي ذكر فيها الموتتان.

قال الآلوسي: "وتوصيفها بالأولى ليس لقصد مقابلة الثانية كما في قولك: حج زيد الحجة الأولى، ومات" انتهى من "تفسير الألوسي" (13/ 124-125).

فالحاصل: أنه ذكر الموتة التي شعروا بها، وهي مفارقة أرواحهم للأجساد.

قال ابن أبي العز: " وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة ﴿**لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى**﴾ [الدخان: 56] وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد.

وأما قول أهل النار: ﴿**ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾ [غافر: 11] وقوله تعالى: ﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم**﴾ [البقرة: 28] فالمراد: أنهم كانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور".

انتهى من "شرح الطحاوية"(2/571).

وينظر للفائدة: "تفسير النسفي" (3/292).

والله أعلم.